Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سِجلٌّ شِعريٌّ تاريخيٌّ فريد

١

كل من يدرس تراثنا الشعرى يعرف أنه يصوّر حياة أسلافنا من جميع أطرافها السياسية والاجتماعية والعقلية فقد مثّلوا فيه جوانب حياتهم، ولم يقصروه على وصف مشاعرهم الوجدانية الخالصة، بل وسّعوا من قديمٍ جنباته ليصوّر بيئتهم ومجتمعهم وحروبهم أو أيامهم. وعرف ذلك علماؤنا فى العصر العباسى، فحينما حاول الجاحظ مثلاً أن يتحدث عن الحيوان ملأ كتابه عنه بأشعار الجاهليين فى الحيوان وطبائع أنواعه سواء منها ما كان سبعًا أو بهيمة، وبالمثل علماء اللغة حين تحدثوا عن النجوم والرياح والأمطار والفلوات ومراعيها وأشجارها ونباتاتها وأزهارها ساقوا فى ذلك أشعارًا كثيرة، كما ساقوا أشعارًا كثيرة تصوّر عاداتهم وتقاليدهم ودياناتهم.

وقد مضى الشعر العربى على هذا النحو طوال عصوره يصوّر تاريخ العرب السياسى والحربى وحياتهم الاجتماعية والفكرية، وتنبّه لذلك مؤرخونا قديمًا، إذ نرى الطبرى وغيره يتوقفون فى تاريخهم مرارًا لينشدوا بعض الأشعار التى نُظمت فى الأحداث السياسية والحربية، وكأنما هداهم حسّهم التاريخى من قديم إلى أن الشعر وثيقة تاريخية ينبغى أن تضاف إلى وثائق الأخبار المروية. ولا أرتاب فى أنهم تنبّهوا إلى أنه وثيقة أكثر نبضًا بالحيوية والحياة من الروايات الشفوية، لأن هذه الروايات تعتمد على السماع، بينما يعتمد الشعر غالبًا على البصر والمشاهدة، إذ يشاهد الشاعر الأحداث التاريخية ويصورها، وليس من رأى كمن سمع. وليس ذلك فحسب، فإن الرواية للحدث التاريخى قد يدخل عليها الكذب والتعصب والهوى، وقد يدخل عليها أيضًا شىء من النسيان لبعض دقائق الحدث.